وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة

عالم ميسلون هادي الروائي
دراسة في الأشكال والمضامين

أطروحة دكتوراه مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة

ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها

تخصص/ أدب

من الطالبة

زينب عبدالرضا علي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فاضل عبود التميمي

١٤٣٩هـ ٢٠١٨م

الفصل الأول
أسلوب الاستفهام

من الأساليب الإنشائية الطلبية (الاستفهام) فهو يسهم إسهاماً واضحاً في إبراز الصورة ورسمها ، وهو يمثل مساحة واسعة من حيث الاستعمال عند الشعراء الثلاثة في غرض الغزل .

اشترك عمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد ونزار قباني بافتتاح جملة من قصادهم بالاستفهام ؛ دليلاً على أهمية هذا الأسلوب ، فهو يحرض على التأمل ، ويوقظ الغافل من غفلته ، ويشوقه إلى التعرف على الجديد ، أو على غير المألوف الذي حدث .

قال عمر بن أبي ربيعة :

أَمِـنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِـرُ غَـدَاةَ غَـدٍ أَمْ رَائـحٌ فَمُهَجِّـرُ[١]

وقال :

أَأَقَـامَ أمْـسِ خلِيطُنَـا أم سَـــارَا سَائِلْ بعَمركَ أيَّ ذاكَ اخْتَارَا[٢]

قال بشار :

أ (حُبَّــى) فيــمَ خُلِّيــت ؟ وفيـم الحَبْـــلُ مَبْتُـــوتُ ؟[٣]

---

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م : ٩٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٧ ، وينظر : ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٣٠٦ .

(٣) ديوان بشار بن برد ، قدم له وشرحه : د.صلاح الدين الهواري ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٨م : ٢٥/٢ .

وقال :

خلِيلَيَّ مَــا بَــالُ الدُّجَـى لا تَزحْـزَحُ وَمَا بَالُ ضَوْءُ الصُّبْحِ لا يَتَوَضَّحُ[١]

إن الاستهلال هو وجه القصيدة ، وأول ملامحها ، إنه ألقُ عينها الواعد بالكيان الشعري ، لذلك تنبه النقاد العرب القدماء إلى أهمية الاستهلال ، وسموه بـ – حسن الافتتاح – يقول ابن رشيق القيرواني : ((إن من حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح))[٢] .

ولعل وعي الشاعرين عمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد بأهمية الاستهلال ووظيفته جعلهم يستهلون قصائد الغزل بالاستفهام ، الذي يستثير غريزة حب الاستطلاع لدى المتلقي ، وبغية جذبه إلى أجواء القصيدة . وهذا ما وجدناه سمةً بلاغية مشتركة بينهم ، وجعلنا نقول : إن لجوئهم إلى استهلال بعض قصائد الغزل بالاستفهام ، يضعه في تحدٍ ، إذ لو تبيّنَ للمتلقي أن القصيدة لم تحتفظ بألقها بعد الاستهلال ، فإن خيبة أمل المتلقي لا يشفع لها براعة الاستهلال ونجاحه .

١. التجريد الاستفهامي :

التجريد من الأساليب العربية القديمة ، أن يخاطب الإنسان نفسه حتى كأنه تقابله ، أو تخاطبه ، وهو أنواع ؛ مختلف الأغراض فهناك التجريد المحض ، وذلك أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك ، وأن تريد به نفسك لطلب التوسع في الكلام ، والتجريد غير المحض

(١) ديوان بشار بن برد : ٩٦/٢ ، وينظر : ١٨١/٢ ، ٢٠١/٢ ، ٤٤/٣ ، ١٩١/٣ .
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (د.ط) ، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م : ١٨٦/١ .

وهو خطاب لنفسك لا لغيرك[١] .

يشترك الاستفهام مع التجريد في بناء استهلال قصائد الغزل ، قال عمر بن أبي ربيعة :

أَلَـمْ تَسْـأَلِ المَنْـزِلَ ٱلْمُقْفِـرَا بَيَانًـــاً فَيَبْخَـــلَ أَوْ يُخْبِـــرَا
ذَكَـرْتَ بِهِ بَعْضَ مَا قَدْ مَضَى وَحُـقَّ لِـذِي الشَّجْـوِ أَنْ يَذْكُرَا
مَبِيـتَ الْحَبِيبَيْـنِ قَـدْ ظَاهَـرَا كِسَـاءً وَبُرْدَيْـنِ أَنْ يُمْطَـرَا
ومشْـــىَ ثَـــلاَثٍ إِلَـــى زَائِـــرٍ خَرَجْـنَ إِلَـــى عَاشِـقٍ زُوَّرَا[٢]

استهل عمر التجريد غير المحض حين خاطب نفسه ، مستعملاً حرف الاستفهام الهمزة ، فالمنزل الخالي يبخل ويمسك عن الكلام والبيان ؛ بيان ارتحال سكانه . مونولوج داخلي يستدعيه الشاعر مع نفسه بواسطة الأسئلة الخطابية فينقل حديثه وصراعه الداخلي بواسطة هذه الأسئلة ، لأن مناجاة النفس تتيح له التنفيس كما يعتمد في وجدانه من أحاسيس وانفعالات ، لم تكن لتظهر لو لم تأنس النفس ويدور معها الخطاب .

ومثل هذا الافتتاح نجده في قصائد غزل بشار بن برد ، قال :

وَدِّعْ عُبَيْـدَةَ إنَّ الْبَيْـنَ قَـدْ أَفِدَا وهَلْ تَرَى في رَحِيلٍ دُونَهَا رَشَدَا
لا بـل لِغَـادٍ إذَا زُمَّـتْ رَكائبُـهُ عَلَى المقِيميـــنَ .... عهـــدَا
فلا تَضِنِّـــي بتَسليـم عَلَى رَجُـلٍ لا يَجِدُ النّـاسُ إلاَّ دُونَ ما وَجَدَا
عَهْداً إلَى عاشِـقٍ لوْ يَسْتَطِيعُكُمُ يا عَبْدَ سَلَّم قَبْل الْبَيْـن أَوْ عَهِدَا

(١) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د.أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ، ط (٢) ، ١٩٩٦م ، ٢٥٨ وما بعدها .

(٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٧٤ ، وينظر : ١٧٧ ، ٣٠٦ .

ولَسْتُ أَدْرِي إذَا شَـدَّ المَـزَارُ بِكُـم هَلْ تَجْمَعُ الدَّارُ أَمْ لاَ نَلْتَقِي أبَدَا[١]

يبني بشار استهلاله على الاستفهام التجريدي غير المحض ، يضج هذا الاستهلال بصراع نفسي ، وينتج بنقل هذا الصراع الواخز إلى ساحة المخاطب ، حين يبدأ بنداء المحبوبة – عبيدة – ويطلب منها تحية قبل الهجر والفراق ، ويعود الشاعر للاستفهام في البيت الأخير من المقطع ليحفز المتلقي من خلال معرفة جواب هذا السؤال ، إذ تعمد الشاعر إلى تقنية إخفاء أداة الاستفهام (هل) ؛ فالتقدير في هذا الاستفهام – هل تجمع الدار ؟ بل لا نلتقي أبدا – لأن (أم) هنا بمعنى (بل) وتكررت ، ثم حذفت (هل) الثانية .

وحسبنا أن نجد التواحد الواضح بين استفهام البيت الأول – الاستفهام الاستهلالي – مع الاستفهام في المقطع . أما نزار قباني فأنه يستهل قصائد غزله بالاستفهام التجريدي ، يخاطب ذاته ، متقصداً المرأة ، يسعى إلى تعميق شجن هو بحقيقته صدى نفس السائلة ، يقول في قصيدة مكابرة :

تُراني أحبُّكِ لا أعلمُ
سؤال يحيط به المُبْهَمُ
وإن كان حُبّي افتراضا . لماذا ؟
إذا لُحْتِ طاشَ برأسي الدمُ
وحَارَ الجوابُ بحنجرتي
وجفَّ النداءُ .. ومات الفم[٢]

---

(١) ديوان بشار بن برد : ٤٤/٣ ، وينظر : ٢٥/٢ ، ٨٩/٢ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، نزار قباني ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط (١٠) ، ١٩٨٠م : ٢٢/١ .

السائل الشاعرَ والمسؤول ذاته ، والموضوع شجنه ؛ فتح السؤال بصياغته الفنية مغاليق قلبه ، فهو بشر يفرّ قلبُه وراء حبيبته التي استحوذت على فكره ، إذ جعلته يناقض نفسه ، وحبّ قلبه لها محالٌ .

تُراني أحبُّك ؟ لا . لا . محالُ
أنا لا أحبُّ ولا أغرمُ(١)

ولنزار قباني سمة بلاغية يتكئ عليها في بناء قصائد غزله ، يحاول من إحداث مقاربة حوارية من خلال طرح سؤال مقترن بالفعل (قال) واشتقاقه يقول في قصيدة طائشة الضفائر :

تقولين الهوى شيءٌ جميل
ألم تقرأ قديماً شِعرَ قَيْسِ
أجئتِ الآن .. تصطنعين حُبّاً
أحسَّ به الماءُ .. ولم تُحِسّي
أطائشة الضفائر .. غادريني
فما أنا عبدُ سيدةٍ وكأسِ
لقد أخطأتِ .. حين ظننتِ أني
أبيعُ رجولتي .. وأُضيع رأسي
فأكبر من جمالك كبريائي
وأعنفُ من لظى شفتيك بأسي(٢)

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ٢٢/١ .
(٢) المصدر نفسه : ١٦٥/١ ، وينظر : ١٣٢/١ ، ٢٠٣/١ ، ٢٤٠/١ ، ١٧٨/٤ ، ٤٢٧/٤ .

استهل نزار قصيدته باستفهام إنكاري محذوف الأداة (أتقولين) ، يسعى من خلال أن يعكس حالة الصراع بين الذات الشاعرة المتمثلة بوضوح عن طريق السؤال ، وجوابه بسؤال آخر في السطر الثاني (ألم تقرأ) إذ ينهض السؤال على الرمز من خلال ذكره (شعر قيس) ، وشعر قيس كناية عن الحبّ العذري العفيف ، ثم يتكرر السؤال في السطر الثالث (أجئتِ الآن ...) ليفصح هذا السؤال عن نوازع داخلية حاول الشاعر إخراجها . صورة تضادية بينه وبين حبيبته فهي متصنعة الحب ، وهي ((فاقدة الإحساس تافهة الوصال ، أما هو فليس عبد سيدة ، ولا بائع رجولته ، ولا فاقد وعيه))[١] .

٢. دلالة الاستفهام :

وهو تنازح بنى نسق الاستفهام إلى تعبيرات مجازية ، غايتها تغيير البنية الشعرية ، والخروج بصيغ جديدة تنمُّ عن نضجٍ الشاعر ، وشكل هذا الانزياح أساساً جوهرياً للقيم الشعرية ؛ استوعب مساحة تعبيرية واسعة ذات دلالات متنوعة تضاعف من طاقة النص الإيحائية .

إن الأسئلة التي أطلقها الشعراء الثلاثة والتي تجسد روح الغزل عند كلٍّ واحدٍ ساهمت في معرفة توازعه ورغباته عن طريق التأمل في قصائد هؤلاء الشعراء ، نستطيع تحديد الدلالات المجازية فيها .

١. التحسر :

التحسر والألم هو ((أشد ارتباطاً بتصورات المتكلم وأحواله))[٢] . يقول عمر بن أبي

---

(١) شعرية المرأة وأنوثة القصيدة – قراءة في شعر نزار قباني – ، د.أحمد مبروش ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م : ٢٩١ .

(٢) شعر أبي نؤاس – دراسة أسلوبية ، لطيف يونس حمادي ، كلية الآداب ، الجامعة العراقية ، ٢٠٠٩م : ٢٢٤ (أطروحة دكتوراه) .

ربيعة :

أَمِـنْ آلِ زَيْنَـبَ جَـدَّ البُكُورُ ؟ نَعَـمْ ، فَـلِأَيَّ هَوَاهَـا تَصِيـرُ ؟
أَلِلْغَـــوْرِ أَمْ أَنْجَـــدَتْ دَارُهَـــا وَكَانَـتْ قَدِيمـاً بِعَهْـدِي تَغُـورُ
هِـيَ الشَّمْـسُ تَسْـرِي عَلَى بَغْلَةٍ وَمَـا خِلْتُ شَمْسـاً بِلَيْلٍ تَسِيــرُ
وَمَـا أَنْسَ لاَ أَنْـسَ مِـنْ قَوْلِهَـا غَــدَاةَ مِنًـى إِذْ أَجَــدَّ الْمَسِيــرُ
أَلَـــم تَـــرَ أَنَّـــكَ مُسْتَشْهَـــدٌ وَأَنَّ عَدُوَّكَ حَوْلِـــي كثِيــرٌ ؟[١]

ترتبط ثلاثة معانٍ مع التحسر ، هي التوجع والحيرة ، تصور لوعة الحب ، وألم الفراق ، فالشاعر حَشَدَ صوراً متلاحقة في هذا المقطع ، بدءًا بالاستفهامات المتكررة ، تكرار حرف الاستفهام (الهمزة) وهي لم ترد للإجابة بل جاءت كما ذكرنا على محك التوجع والتحسر والخوف ، ثم ما أورده الشاعر في النص من أفعال مضارعة انضوت تحت الاستفهام تصير ، تغورُ ، تسري ، تسير .

توحي هذه الأفعال بالحركة والرحيل ، أكسبت التتابعية في الأفعال النصَ ما عمّق دلالة الاستفهام المجازي .

ثم نجد التشبيه في قوله (هي الشمس) تشبيه بليغ ، فقد أضاف رونقاً على الصورة، استدارَ الشاعر بها إلى الوصف الحسي تاركاً التوجع والتحسر على رحيل حبيبته . وهذا دأب عمر في شعره، فتحسره قائم على أن رحيل الحبيبة ، لا يستطيع أن يتمتع بها حسياً.

وعند بشار بن برد تتضّح صورة التحسر على نحو أسد ، وترتبط بالتعجب ارتباطاً وثيقاً ، يقول :

أَمَا شَعَرْتِ ، فَدَتْكِ النَّفْسُ جَارِيَةً أَنْ لَيْسَ لِي دُونَ مَا مَنَّيْتِنِي فَرَجُ

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٣١ .

إِنِّي أُبَشِّـرُ نَفْسِـي كُلَّمَا ٱخْتَلَجَتْ عَيْنِي ، أَقُولُ : بِنَيْلٍ مِنْكِ تَخْتَلِجُ
وَقَـدْ تَمَنَّيْـتُ أَنْ أَلْقَـاكِ خَالِيَـةً يَوْماً ، وَأَنَّى وَفِيمَا قَلْتِ لِي عِوَجُ
أَشْكُـو إِلَـى اللهِ شَوْقاً لا يُفَرِّطُنِـي وَشُرَّعاً فِي سَوَادِ الْقَلْبِ تَخْتَلِجُ[١]

إنها صورة نفسية أفضى الشاعر مكنوناته الداخلية ، فليس له فرجٌ مما يعانيه إلا بحصول ما تمناه من لقاء ووصال ، وقد ساعده الوهم الشائع لدى العامة أن اختلاج جفنه وحركته حركة لا إرادية يبشره بقرب اللقاء ، وحصول الوصال غير أن أمانيه قد خابت ، وانتكست آماله لأنها لم تحضر إلى موعده .

لقد أعمل بشار حواسه الداخلية والخارجية ليمثل لنا مشهد خيبته وتحسره ووجعه في هذه الأبيات .

عمل نزار أثناء العملية الإبداعية إلى تحويل المرأة عن طريق رؤيته الشعرية إلى كتاب مفتوح ، نقرأ فيه حاضر المرأة وماضيها ، إن الخطاب الأنثوي في شعره حمل صوتاً أنثوياً ، تقف المرأة فيه موضع الإرسال المباشر ، وغير المباشر ، عن عواطفها ، ومشاعرها ومعاناتها ، وأفكارها ، وآمالها وغيره . وتقوم بالدور الذي طالما استحوذ عليه الرجل : البوح عن الجوانب الحياتية التي يمر بها دون رقيب .

أظهر نزار التحسر والتوجع كثيراً في شعر الخطاب الأنثوي إذ بنى عليه استيعابه الخاص متلبساً الشخصية المؤنثة ذات معالم واضحة ، بعقله وخبرته وخياله ، وقدرته على تمثّل الشعور ؛ يقول في هذا الغرض المجازي في قصيدة لماذا :

لماذا تخلَّيتَ عني ؟
إذا كنتَ تعرف أنِّي

(١) ديوان بشار بن برد : ٧٣/٢ ، وينظر : خروج أسلوب الاستفهام إلى التحسر : ٢٠/٢ ، ٣٣ ، ١١٢ ، و١٥٢/٣ ، ١٧١ .

أحبُّكَ أكثرَ منِّي
لماذا ؟
لماذا ؟
بعينيكَ هذا الوجوم
وأمسِ بحضنِ الكروم
فرطتَ ألوفَ النجوم
وأخبرتني أن بدربي حُبِّي
يدوم
لماذا ؟
لماذا ؟
تُغرِّر قلبي الصبيّ
لماذا كذبتَ عليّ
وقلتَ تعودُ إليّ
مع الأخضرِ الطائعِ
مع الموسم الراجعِ
مع الحقل والزارعِ
لماذا ؟[١]

أصبح الاستفهام المجازي ، على لسان المرأة ، هنا ، هو صورة القصيدة البنائية التي تتوالى فيها هذه الصيغ متتابعةً دلالةً على الاستنكار والتحسر والاعتراف بالغفلة(= تغرّر قلبي الصبي) وعدم التثبت ؛ كما تدل على " تصديق كاذب " وهو اكتشاف ما كانت

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ٢٧١/١ .

تصدقه المرأة منها ليس سوى كذب ، وهو ما يدل أيضاً على " وعي متأخر " – بحقيقة

مشاعر الرجل الذي لا يهدف إلا إلى " اقتناص اللذة " العابرة، وترك ما عداها من وجدان. حتى أنّ صور الطبيعة ، نفسها ، تأخذ منحى حسيّ " مع تكرار سؤال : ((لماذا ؟)) .

كما نجد في تكرار الاستفهام في هذا المقطع أثر التوجع والتحسر في كل بيت ، وهي صورة تتطابق مع دواخل المرأة المملوءة بالانكسارات ، وبين رفض الرجل لها تطابق بين العديد من المظاهر المحيطة بالمرأة ، من تخليه عنها ، من بعد ما أخبرها بحبه لها ، وأخيراً تغرير قلبها والكذب عليها . وهو كما ذكرتُ .

٢. الاستفهام الدال على التقرير :

هو ((الإثبات مع الوضوح ، وكذلك الإثبات مع التسليم ... وهو لا يحتاج إلى جواب في الاستفهام المجازي ؛ لأنه يقرر فكرة من الأفكار ؛ يحمل المخاطب على الإقرار بها ؛ وبمعنى آخر السؤال نفسه جواب ثابت . ويستعمل هنا أسلوب الفعل المنفي المسبوق – غالباً – بهمزة الاستفهام وإن جاز استعمال الأدوات الأخرى))[١] .

دلّت على التقرير استفهامات عمر بن أبي ربيعة ، تقديم أبيات حوارية تمهيداً للسؤال التقريري ، يقول :

تَقُولُ ، وعَيْنُهَا تُذْرِي دُموعاً لها نَسَقٌ عَلَى الْخَدَّيْنِ تَجْرِي :
أَلَسْتَ أَقَرَّ مَنْ يَمْشِي لِعَيْنِي وَأَنْتَ الهمُّ في الدُّنْيَا وذِكْرِي ؟
أَمَالَكَ حَاجَةٌ فِيما لَدَيْنَا تَكُنْ لَكَ عِنْدَنَا حَقًّا فَأَدْرِي ؟
أَمِنْ سَخَطٍ عَلَيّ صَدَدْتَ عَنِّي حَمَلْتَ جَنَازَتِي ، وَشَهِدْتَ قَبْرِي !

(١) جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، د.حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥م : ١٤٣-١٤٤ .

أشَهْـــــراً كُلّـــهُ إلاَّ ثَلاَثـــــاً أقَمْتَ عَلَى مُصَارَمَتِي وَهَجْـرِي[١]

في تكرار صيغة الاستفهام المجازي ، لتقريري (ألست .. / أمالك .. / أمن سخط .. / أشهراً) حول الشاعر فيه من حيز النفي إلى حيز الإثبات[٢]. جرت هذه الاستفهامات على لسان الحبيبة ، وهي عادة شعرية عند عمر إذ ينظر إلى نفسه هو المتغزَّل به ، فأضفى سردية قصصية قدم لها عمر في البيت الأول تقديماً يرسم معاناة حبيبته من أثر صدّه وهجره لها . فهو عندها الأقرب والأقدر على مواساتها ، ولهجره لها حمل جنازتها وشهِد خبرها ، وهذا التعبير من " مبتكرات " عمر بن أبي ربيعة تعبيراً عن " الخواء الروحي ، والعاطفي " التي أخذت تحس به المرأة . فالأبيات تحمل معنى التقرير للحدث ، الإعجاب بالذات (الرجل المعشوق) والتحسر للحبيبة .

وعند بشار بن برد يرد الاستفهام التقريري في مواضع عدة .

لكن يجب أن أذكر أنّ إدارة الكلام على لسان المرأة ، كما هي عادة عمر ونزار في شعرهما لم تواتِ بشار بن برد على استعماله فظل أسلوب الاستفهام المجازي في شعره " صادراً " عن لسان الرجل تعبيراً عن نفسه المحرومة ، وشوقه إلى الحبيبة ، علّها تطرد من نفسه هذا الحرمان . غير أن بشاراً يتجاوز استعمال صيغة الاستفهام بالنفي في بعض المواضع[٣]. أما الغالب فيه فهو الهمزة المقترنة بنفي ، يقول :

---

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٣٦ ، وينظر : ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٤٣ .

(٢) جاء في الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين أبو عبد الله الخطيب القزويني ، تحقيق : عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٦م : ٢٣٨/١ ((ومن مجيء الهمزة للإنكار قوله تعالى : چڈڈڈڈڭچ أي الله كاف عبده ... لأن نفي النفي إثبات وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير أي لتقرير مِما دخله النفي)) .

(٣) من ذلك قوله : ألا يا قلب هل لك في التَّعـزي فقــد عذبتنـــي ولقيــتُ حَسْبَا
كيف لي أن أنام حتى أرى وجـ ـهكِ في النـوم يانبــة المحمـود

أَفَمَا أَنى لَكِ يا عُبَيْـدَةُ أَنْ تَشْفِي أخَا الأحْزَانِ والكَمَدِ
يَمْسِـي ويُصْبِحُ هائماً بكُمُ ويُهَـالُ بالتَّرْويــع والسَّهَـدِ
نرْجُــو عُبَيْـدَةَ أنْ تَجُــودَ لنَا ما إن يُرجَّى بَعْدُ مِنْ أَحَدِ[١]

هذا الاستفهام يدل على الاستعطاف والاعتراف بهجران الحبيبة له ، ويمكن أن نشير إلى أن الاستفهام هنا يدل على أمرين متلازمين يؤدي أحدهما الآخر : الأول : الاعتراف بهجر الحبيبة له . بدلالة (أفما أني لك ...) ، الآخر : ما أصاب الرجل بعد هجر الحبيبة من حالٍ يرجو بها أن تشفق عليه الحبيبة ، فتعود إليه كي يتخلص من (مرضه العاطفي) .

ويظهر في الأبيات أيضاً ، ظلمُ الحبيبة – عبيدة – في حصول المفارقة النفسية المتضادة بين فؤاده ، وحبيبته ، فعلى مقدار ما يلازمه من حزنٍ وغمٍ ، يطلب منها أن تشفيه منهما ، ويأمل أن تجود بوصلها لكن لا رجاء في ذلك . فالاستفهام أقرّ حالة تقابل بين شدة الحنين ، بالصدود المبين ، مما يحطم أحلامه ويقوده إلى اليأس .

تتميز التراكيب اللغوية في شعر نزار بأنها تراكيب لغويـة خاصـة ، تعامل معها نزار معاملة رومانسية يفرض على الباحث إيجاد مشتركات بين ما عرفتهُ البلاغة العربية وبين أسلوبه ، ومنه خروج الاستفهام إلى معنى التقرير ، يقول في قصيدة ساعات :

خلوْتُ اليومَ ساعاتٍ إلى جسدي ..
أفكرُ في قضاياهُ
أليسَ له هو الثاني قضاياهُ ؟
وجنتَّهُ وحُمَّاهُ[٢] ؟

(١) ديوان بشار بن برد : ٣ /١٥٢ ، وينظر : ١٩١/٣ ، ٧٣/٢ ، ٨٦ ، ٢٠١ .
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ٥٩٠/١ .

في النص خطاب أنثوي شعري ، وتكمن أهمية صورة هذا الخطاب بأسلوبه الذي يكاد
أن يكون مباشراً واضحاً ، تتلاءم دلالات مفرداته بحسب ما يتطلب بعضها من بعض .

يبدأ المقطع بكلام توجهه المرأة إلى الرجل ، ويأتي الاستفهام التقريري المتمثل في قولها (أليس له) ، ليقرر حالة تفكيرها وحالة وجدانها الفكري . ويأتي الجواب عن هذا السؤال ، يحقق معرفتها للهدف التي ترمي إليه ، المتمثل في تأكيدها لفكرة جواب السؤال ، نقول :

لقد أهملتُهُ زَمَناً
ولم أعبأ بشكواه
نظرتُ إليه في شَغَفٍ
نظرتُ إليه من أحلى زواياهُ[١]

٣. التعجب :

هو ((استعظام أمرٍ ظاهر المزية خافي السبب))[٢] . والمعروف أن لهذا الأسلوب في النحو صيغتان قياسيتان هما (ما أفعلُ وأفعل به) وإذا خرج من نطاق تلك الصيغتين إلى الاستفهام ، فإنما يراد به المبالغة في إظهار التعجب[٣] .

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ٥٩٠/١ .

(٢) جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية) : ١٥٢ .

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (عجب)، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ت ٧٤٩هـ)، د.فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٣م : ٣٣ .

نجح عمر من خلال دلالة الاستفهام التعجبي أن يرسم حركات النفس وتموجاتها ، وما ينتابها من مشاعر وأحاسيس . يقول :

ولقـــد قلـــتُ مُخْفِيـــاً لِغريـــــضٍ هـل تــرى ذلِك الغَـــزَالَ الأحّمــا ؟
هـل تَـرَى فَوْقَـهُ مِـن النَّـاسِ شَخْصـاً أحْسَـــنُ اليَـــوْمَ صُـــورَةً وأَتَمَـــا ؟[١]

في استفهام البيت الأول الشاعر مبهوراً مندهشاً بجمال حبيبته ، فيقوده الانبهار والدهشة إلى حالة التعجب ، يكتفي بتصوير دهشته وعجبه . والاستفهام في البيت الثاني (دل على النفي أي لا يوجد فوقه شخص)[٢] ، شخص بجماله وحسنه .

وقد يأتي الاستفهام التعجبي في سياق الحوار القصصي ، من ذلك قوله :

أَقَـادَ دَمِـــي بَكْـــرٌ عَلَـى غَيْـرِ ظِنَّـــةٍ وَلَـــمْ يَتَأَثَّـــمْ قَاتِـــلاً غَيْـــرَ مُنْعِـــمِ
فَقُلْـــتُ لِبَكْـــرٍ عَاجِبـــاً : أَتَجَلّـــدَتْ لَكَ الْخَيْرُ أَمْ لاَ تُطْعِمُ الصَّيْدَ أَسْهُمِي[٣]

سياق القول دلّ على الاستفهام التعجبي من خلال لفظة (عاجبا) ويضرب مثلاً في عدم مبالاتها ونجد لها في قوله (لا تطعم الصيد أسهمي) ، إذ يريد أن سهامه لا تنالها ولا تدركها[٤] .

---

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٥٠١ .
(٢) شعر عمر بن أبي ربيعة – دراسة أسلوبية ، أمل عبد الله سلمان ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨م : ٢٣٦ (أطروحة دكتوراه) .
(٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٢٠٠ .
(٤) المصدر نفسه : هامش ٢٠٠ .

لأُسلوب الاستفهام حضورٌ واسعٌ في سياق السرد القصصي في شعر بشار ، أيضاً ويكاد يشترك مع شعر عمر بالسمة نفسها التي يأتي بها الاستفهام التعجبي من خلال الحوار القصصي ، من ذلك قول بشار :

قَالَـــتْ عُبَيْـــدَةُ إذْ سَأَلْـــتُ قَلِيلَهَـــا وَرَغِبْـــتُ أنَّ كَبِيرَهَـــا مَحْظُـــورُ :
أَلاَّ عَلِمْـــتَ وأنْـــتَ غَيْـــرُ مُفَنَّـــدٍ إنَّ القَلِيـــلَ إلَـــى القَلِيـــل كَثِيـــرُ
فضَحِكْتُ مِنْ عَجَبٍ وقلْتُ لِصَاحِبي : كَفِّـــنْ أَخَـــاكَ فَإِنَّـــهُ مَقْبُـــورُ[١]

جرى الاستفهام على لسان الآخر وليس على خطاب الشاعر فحضور الآخر (عبيدة) له دورٌ أدائي بجانب إبراز دلالة الاستفهام وخروجه إلى معنى التعجب ، فضلاً عن ورود لفظة (عَجَبٍ) كشفت عن سلامة هذا المعنى .

وقد ترد صيغ التعجب السماعي مقترنة مع الاستفهام لتكشف لنا بوضوح عن خروج أسلوب الاستفهام إلى معنى التعجب ، من ذلك قوله :

يَـا حُـبَّ عَبْـدَةَ قَـدْ رَجَعْـتَ جَدِيـداً مَـا كُنْـتُ أَحْسِـبُ هَالِكـاً مَوْجُـودا
للهِ دَرُّكَ مِـــنْ خَلِيـــطٍ شَاعِـــفٍ هَـــلْ يَنْفَعَنَّـــكَ أَنْ أَبِيـــتَ عَمِيـداً ؟[٢]

يعجب من حبيبٍ فتنة بحبه ، ويرضى له أن يبيت وقد هَدَّهُ العشق وبرَّحه .

ويأتي الاستفهام التعجبي مدلولاً عليه سياق القول ، وقرائن الأحوال ، من ذلك قوله في نسيب سعاد .

---

(١) ديوان بشار بن برد : ٢٢٩/٣ .
(٢) المصدر نفسه : ١٤١/٢ .

سُعْــدَى مُبَاعِـــدَةٌ وَأَنْـــتَ مُخَاطِـــرٌ أَفَقَد رَضِيـتَ مـع الخِطَـارِ بِعَادا ؟[١]

الشاعـر يحاور ذاته ، ويعجب من تحمل قلبـه الخطر على بعد الحبيبـة . ولما كان ((أسلوب الشاعر الخالص ولغته الشعرية تتجلى في طريقة اختياره لمفرداته ولألفاظه وتراكيبه ، عن طريق ما ينشأ بينها من علاقات حية بحكم بنائها الفني))[٢] ، ونسيجها البياني ، فإن اختيار الشاعر لألفاظه وتراكيبه دون سواه ، يدل على سعة مجال الاختيار اللغوي في شعر نزار قباني ، ولاسيما في قصائد الغزل ، ونقصد بالأسلوبية هنا كما يرى عبد السلام المسدي ((المقياس اللساني بالبعد الأدبي الفني استناداً إلى تصنيف عمودي للحدث الإبلاغي ، فإذا كانت عملية الإخبار علّة الحدث اللساني أساساً فإن غائبة الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة ، وتأتي الأسلوبية في هذا المقام لتتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية))[٣] .

وهذا ينطبق على الشعر ذي المستوى الفني الرفيع ، ولاشك في أن لنزار بعضاً من رفعة الشعر في غزله ، حين استقر له أسلوبه الخاص ، ومنه هذه الأبيات البسيطة الواضحة التي يقرن بها جمال المرأة بجمال الطبيعة؛ بصورٍ اتخذت من الاستفهام التعجبي

وسيلة إلى هذا الاقتران ، يقول في قصيدة دوْرنا القمر :

أقول : ما أعاقها ؟

---

(١) المصدر نفسه : ١٥٤/٢ .

(٢) الظواهر الفنية في الشعر الوجداني لدى شعراء أبولو، د.طلعت عبد العزيز أبو العزم ، ١٩٨٨م : ١٤٨ .

(٣) الأسلوبية والأسلوب : ٣٢-٣٣ .

فستانها ؟ ... أم الزَهَرة
أم وردةٌ تعلَّقتْ
بذيل ثوبها العطر ؟
أم الفراشات ترامت
تحت رجليها .. زُمَرْ ؟
وأقبلتْ .. مسحوبةً
يخضرُّ تحت الحَجَرة[١]

الاستفهام أسهم في إبراز دلالات لغوية نصية ، ونجد فيه مقاربة مشتركة في تراكيبه اللغوية عند الشعراء الثلاث ، لاسيما عمر بن أبي ربيعة ، وبشار بن برد ؛ إذ نجد في بعض الأحيان افتتاح قصائدهما بهذا الأسلوب ، كما نجد تقنية الاستفهام التجريد حاضرة لدى الثلاثة ، وخروج الاستفهام إلى تعبيرات مجازية أخرى متنوعة .

لكن المشترك بينهم هو المطلوب في هذه الدراسة .

غير أن المشترك كان واضحاً عند الشاعرين عمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد ، أما عند نزار قباني ، فقد لمسنا تلاعباً لغوياً واضحاً في تراكيب اللغة ومفرداتها تحتاج إلى شيء من التوقف لفهم بعض من دلالاتها البعيدة والروابط المشتركة الجامعة بين تراكيبها كي تتضح دلالة كل استفهام مجازي ، ويجب أن نذكر أن أداة الكلام على لسان المرأة ، كما هي العادة عند عمر ونزار في شعرهما ، غير أننا لا نجدها في شعر بشار فغزله في استفهاماته صادر منه هو ، إذ يعبّر عن نفسه المحرومة ، وشوقه إلى الحبيبة ، علّها تطرد عن نفسه هذا الحرمان ، لكننا نجد عوامل مشتركة ، عوامل تعبيرية نستطيع أن نعدّها ثوابت لغوية التزم بها الشعراء الثلاثة . منها على السبيل الذكر لا الحصر والتي ذكرتها في هذا الفصل التزام الشعراء بالاستفهام التقريري من حيث القاعدة التي أوجبها

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٤/١ .

البلاغيون ، وهي اقتران همزة الاستفهام بنفي ، ومدلول الاستفهام التعجبي تتضح صورته أكثر باقتران الاستفهام بلفظ (عجب) ، وهذا النمط التركيبي واضح في شعر عمر وبشار.

Abstract

The current study aims at accessing into the world of the novelist (Maysloun Hadi) and tracking the most prominent forms and contents included in the novelist's achievement, especially that the leadership of the world of writing for Iraqi women which make it as an important stage of the development of Arab novel in general and Iraqi in particular. After these writings are received the degree of elevation and the emergence of the features which are required to be studied, and to identify the nature of the speeches and inclusion within the artistic and literary movement. What has drawn our attention is the neglecting of some academic studies of the story of the novelist (Maysaloun Hadi) on the availability and status in the map of the narrative of women; and to uncover the sources of its creativity and to establish a comprehensive perception of the privacy of her narration.

This study is based on an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. We have tackled the subject in all its aspects. As for the preamble that leads to this study, we have reviewed the vision of the old and modern thought of man from women as well as their preoccupation with the presentation of perceptions may vary some or converge on the concept of place, confirming the importance of place as the first cradle of human existence.

As for the first chapter, we decide to dedicate to study of the human being as is considered the point of departure in her novel world and its fertile material, so we continue its presence through the problem of the ego and the internal and external, and we reveal its crises and conflicts, then follow-up the vision of humanism and novelistic that is characterized by wideness, (The Arab, The Western, The Soldier, The Occupier, The Authoritarian, The Prisoner, The Politician, The

Intellectual, The Simple, The Dictator, The Cleric and The Rebel), while we stand at the most prominent narrative techniques used by the novelist in presenting them to the human being including narration, description and the role of narrative dialogue in lighting aspects of the life of the characters as well as rely on the refinement of retrieval, which depends on the state of psychological characters in the world.

The second chapter is entitled human and community issues, the first section devotes to study the problem of masculinity and femininity, as two cultural themes that contribute to different factors in their production and the activation of the conflict between them, including social, educational, cultural and psychological. The second section devotes to studying the defect and the prohibition, as they are two social religious concepts. The first is the laws of creation, gained the status of the public, but the prohibition has derived its teachings from the Creator, with reference to the exposure of the novelist to the issue of the veil, and the statement of the reasons for wearing, with the need for that subtraction of caution and to caution; as the veil of religious constants.

The third chapter devotes to the study of the place in the world. It is divided into the familiar place and the uncommon place according to the view of the characters of the place, while we stand at the spatial transformations that emerged in the world.

After completing the study chapters, we cease at the conclusion, where we highlighted the main results of the research, as well as a list of resources and references that help the researcher in her study.